كلية : الآداب جامعة الأنبار

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : د. احمد عبدالعزيز

اسم المادة بالغة العربية : النثر العربي الحديث

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Modern Arabic prose

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: القصة العربية الحديثة

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : Modern Arabic story

القصـة

أخذت القصة الحديثة تظهر في الأدب العربي الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لجملة من العوامل لعل أهمها ظهور الصحافة في المجتمع العربي وتأسيس المدارس التي أخذت تخرج المعلمين من قراء القصص ، والاتصال بأوربا إذ شرع المثقفون العرب يرون في الآداب الأوربية القصة وهي في أوج ازدهارها وتحظى بتقدير المجتمع ، كما تعكس خصائص وسمات ناضجة منها ارتباطها بالمجتمع الحديث وصدورها عن الواقع وحملها دلالات فكرية واجتماعية مختلفة وذلك لأنها ارتبطت بنشأة الطبقة البرجوازية أو الطبقة الوسطى التي استخدمتها أداة تعبر بها عن مثلها وتطلعاتها وتدعو إلى آرائها وقيمها خلال القرن الثامن عشر .

والمعروف ان القصة بهذه الصورة التي عرفتها أوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، تختلف عن ضروب القصص التي عرفت قبل ذلك في اتجاهها إلى تصوير الواقع ، لأن غايتها الرئيسية هي التعبير عن إحساس كاتبها بالعالم المحيط به . وفي أحداثها التي تأتي سلسلة متصلة من الحلقات تدور على محور واحد وفي عنايتها بتصوير ملامح وأبعاد شخصياتها واهتمامها برسم البيئة التي تجري فيها الأحداث من زمان ومكان .

من هنا لا نستطيع القول بأن الأدب العربي القديم لم يعرف القصة كما يزعم بعض المستشرقين لأن القصة بالمعنى الحديث لم تكن موجودة قديما حتى في الآداب الأوربية التي يتخذ هؤلاء من قصصها مقياس لتحديد معنى القصة وشروطها أما القصة بالمعنى القديم أو ما يسمى بالحكاية فقد عرفها العرب ومارسوها في وقت مبكر ممارسة نضجت وازدهرت في القرن الثالث الهجري .

القصة في الأدب العربي القديم :

كان للعرب في عصر ما قبل الإسلام قصص وحكايات تدور على الوقائع الحربية وتروي أساطير الأولين وعندما ظهر الإسلام جاءهم بأحسن القصص ثم تكونت على هامش القرآن وتفسيره قصص وحكايات مبنية على أساس من تعاليم الدين الحنيف منها قصص الأنبياء وقصة المعراج .

تطورت القصص العربية في العصر الأموي حتى أصبحت عملا رسميا يعهد به إلى رجال يتقاضون عليه الأجر وفي الوقت ذاته تنوعت القصص فظهرت قصص العشاق وقصص الأبطال والفرسان .

أما في العصر العباسي فقد تطورت القصة العربية تطورا جعلها تتنوع ويصبح عالمها أكثر رحابة وتعرف التحليل النفسي مثل قصص الجاحظ .

وعموما شهدت القصة العربية نوعين من القصص ظهر النوع الأول في الأدب الرسمي أو الأدب الفصيح ويتمثل في قصص الجاحظ و (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري (حي بن يقضان) لابن طفيل الأندلسي و (المقامات) .

تعد المقامات العربية أهم القصص التي عرفها الأدب العربي القديم ، والمقامة تكاد تكون قصة قصيرة تتضمن أغلب عناصر القصة القصيرة من حدث وشخصيات وحوار وفكرة ، ويتوافر فيها أحيانا التحليل النفسي الذي شاع في القصص الحديثة . مثال ذلك المقامة (المضيرية) لبديع الزمان الهمذاني التي تهدف إلى تحليل شخصية تاجر حديث النعمة وإلقاء الضوء عليها في موقف محدد ضمن حادثة مشوقة . لكن المقامة بعد بديع الزمان الهمذاني تغلب عليها الصناعة اللفظية والتعليم مما أدى إلى ضعف العنصر القصصي فيها .

أما النوع الثاني من القصص العربية فقد ظهر في الأدب الشعبي وعنيت به عامة الشعب التي وجدت فيه متعة وتسلية . وأهم قصص هذا النوع (ألف ليلة وليلة) و (السير الشعبية) مثل سيرة عنترة وسيف بن ذي يزن والأميرة ذات الهمة وبني هلال ... الخ .

تقف حكايات (ألف ليلة وليلة) أروع ما عرفته العرب من قصص ، إذ تحوي أجواء خيالية ساحرة وحوادث مشوقة وشخصيات إنسانية متباينة وتحمل دلالات فكرية مختلفة . ولهذا أعجبت بها أوربا في العصر الحديث وتأثرت بها واستوحتها في آدابها وفنونها حتى قال بعضهم ان أوربا مدينة في نهضتها لحكايات (ألف ليلة وليلة) .

القصة العربية الحديثة :

مرت القصة العربية في نشأتها بمرحلتين . أما المرحلة الأولى فكانت مرحلة الترجمة وأما الثانية فمرحلة الإبداع والتأليف .

نشأت ترجمة القصص في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ملبية حاجة الصحف والمجلات إلى مواد ثقافية مشوقة تحظى بإقبال القراء .

من الصحف والمجلات التي عنيت بالقصص (حديقة الأخبار) (بيروت ١٨٥٩) وقد نشرت عددا كبيرا من القصص المترجمة والموضوعة ، و (البشير) للآباء اليسوعيين (بيروت ١٨٧١) و (الأهرام) (مصر ١٨٧٦) و (لسان الحال) (بيروت ١٨٧٧) و (جريدة لبنان) (١٨٩١) و(الهلال) (القاهرة ١٨٩٢) .

كانت الترجمة في أول عهدها تقوم على التصرف الكبير في الأصل المترجم وإيجازه ومسخه واستخدام لغة هزيلة وركيكة ومليئة بالأخطاء النحوية والصرفية . ولعل ذلك يعود إلى جهل القراء لقواعد اللغة وأساليبها . وعدم مبالاتهم لما فيها من أخطاء ، لأن هدفهم الأول أن تكون لغة الترجمة بسيطة ومفهومة ، والقصة مسلية ، كذلك يعود إلى ضعف المترجمين في اللغة وعدم اهتمامهم بتنقيح ما يترجمون .

لكن هذا الطور من الترجمة مع ذلك شهد أدباء مترجمين مع تصرفهم وخروجهم على الأصل ، عنوا عناية كبيرة بلغة الترجمة وأسلوبها أمثال رفاعة الطهطاوي الذي ترجم قصة (مغامرات تليماك) لفنلون وسماها (وقائع الأفلاك في حوادث تليماك) ، ومصطفى لطفي المنفلوطي الذي ترجم مجموعة من القصص الفرنسية ، وحافظ إبراهيم مترجم رواية (البؤساء) لفيكتور هيجو .

غلب على أغلب القصص التي ترجمت في هذا الطور ، طابع المغامرة والتسلية والترفيه وقام بأغلب الترجمات اللبنانيون والسوريون والمصريون .

بعد ذلك شهدت الترجمة طورا جديدا حيث مالت إلى الدقة والأمانة والتزمت بالأصل للقراء وزاد الاحتكاك بالغرب ، ودخل ميدان الترجمة الجامعيون أمثال طه حسين وعبد الرحمن بدوي ومحمد عوض محمد . وكان للجنة التأليف والترجمة ودار الكاتب المصري في مصر ودار العلم للملايين في بيروت ، ودار اليقظة العربية في دمشق دور كبير في الترجمة الأمينة والدقيقة ..

أما المرحلة الثانية التي مرت بها القصة العربية الحديثة فهي مرحلة التأليف التي بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

بدأت هذه المرحلة حين شرع بعض الأدباء يلتفتون إلى هذا الفن ويدركون أهميته وخطورته ويستخدمونه أداة للتعليم والإصلاح الاجتماعي والدعوة إلى أفكار وآراء اجتماعية وسياسية ، وهذه المرحلة مرت بدورها بطورين :

تمثل الطور الأول في استلهام القصص العربية القديمة والتأليف على وفق منوالها وطبيعتها . لقد نهض طائفة من الأدباء سعوا إلى تأليف قصص تبنى على إطار المقامة وتتأثر بخصائصها وأسلوبها ، وتتأثر في الوقت عينه بخصائص وسمات حكايات (ألف ليلة وليلة) . وقد حدث هذا إما بدوافع قومية تتمثل في بعض التراث العربي وبث الشعور القومي في النفوس ، أو بدوافع تتعلق بثقافة المؤلفين الذين لم يعرفوا في ميدان القصة غير القصص العربية المأثورة .

ان القصص التي تأثرت بالمقامات العربية القديمة ، عرفت في لبنان ومصر والعراق . ففي لبنان ألف هذه القصص القس حنانيا المنير وأحمد البربير ونقولا الترك وإبراهيم الأحمد وأحمد فارس الشدياق وأهمها ما ألفه الشيخ ناصيف اليازجي في (مجمع البحرين) وفي مصر تمثلت في أعمال محمد المويلحي في (حديث عيسى بن هشام

) وحافظ إبراهيم في (ليالي سطيح) ومحمد لطفي جمعة في (ليالي الروح الطائر) . أما في العراق فقد ألف أبو الثناء الآلوسي مجموعة من المقامات طبعت في عام ١٩٥٦ م .

وهناك قصص تأثرت بخصائص وأجواء حكايات (ألف ليلة وليلة) أشهرها قصة (لادسياس) لأحمد شوقي .

وتمثل الطور الثاني في التأثر بالقصة الأوربية الحديثة واستيحائها حيث تمّ الانفصال بين التراث القصصي العربي والقصة العربية الحديثة وأصبحت القصة ذات بناء متماسك ووحدة عضوية وشخصيات إنسانية مرسومة بعمق ووضوح وأهداف فكرية واجتماعية مختلفة .

لهذا كله لا نستطيع أن نقول ان القصة في الأدب العربي الحديث ظهرت بتأثير القصة الغربية الحديثة حسب ، كما ذهب إلى ذلك كثير من الباحثين وإنما نقول ان القصة العربية الحديثة شهدت النور بفضل وتأثير القصة العربية القديمة والقصة الأوربية الحديثة ، وإن كان تأثير الثانية أكبر من تأثير الأولى حتى غدت الصلة واهية بين التراث القصصي العربي والقصة العربية الحديثة .

يؤرخ بعض الباحثين القصة العربية الحديثة بقصص سليم البستاني (١٨٤٨ – ١٨٨٤) وأشهرها قصة (الهيام في جنان الشام) (١٨٧٠) وهي قصة غرامية تدور على عاشقين يربط بينهما حب مثالي تكتنفه عقبات تفرق بينهما حينا وتجمع بينهما حينا آخر ، ثم توالى ظهور القصص بانتشار الصحف والمجلات والمدارس التي تزيد من عدد قراء القصص .

وقد تنوعت موضوعات القصص واتجاهاتها ، كان أغلب القصص الأولى من نوع قصص التسلية والترفيه التي تهدف أساسا إلى تسلية القراء وامتاعهم عن طريق تقديم حكايات مسلية ومشوقة تزخر بالمغامرات العجيبة والمخاطرات الغريبة . وتتجه إلى إرضاء رغبات القراء وأذواقهم ، وفي الوقت ذاته تخلو من الهدف كالتعبير عن

موقف الكاتب تجاه الواقع أو تصوير مشاكل المجتمع والموضوع الغالب عليها الحب الذي يربط بين عاشقين تقوم بينهما العقبات وتنتهي بتذليل العقبات واجتماع الشمل .

نشرت هذه القصص في مجلات صدرت لهذا الغرض مثل (مسامرات الشعب) و (مسامرات النديم) و (مسامرات الملوك) وكلها صدرت في مصر وكتب هذه القصص كتاب كثيرون أمثال سليم البستاني وسعيد البستاني وأحمد شوقي ومحمود خيرت ... الخ .

وغلب الاتجاه التاريخي على بعض القصص التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ولعل أهم من يمثل هذا الاتجاه جرجي زيدان (١٨٦١ – ١٩١٤) في رواياته التاريخية التي أخذ ينشرها منذ عام ١٨٩١ م ، وبلغ عددها ٢٢ رواية .

ان أهم ما يميز روايات جرجي زيدان غلبة الطابع التعليمي عليها ، فقد كان غرضه من تأليفها تعليم التاريخ الإسلامي وليس إحياء هذا التاريخ أو بعثه ، من هنا كان تأكيده على الفترات غير المشرقة من تاريخنا . ولإضفاء طابع التشويق عليها جعل زيدان فيها عقدة غرامية إلى جانب العقدة التاريخية الرئيسة في الرواية .

ثم تطور الاتجاه الرئيسي على أيدي عادل كامل ونجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار ومحمد فريد أبو حديد وعلي أحمد باكثير ومحمد سعيد العريان وعلي الحازم في مصر فيما بين الحربين . استخدم هؤلاء التاريخ إطارا وموضوعا لرواياتهم للتعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية وفكرية مختلفة .

وفي سوريا ظهر هذا الاتجاه عند عبد المسيح انطاكي وعبد الحميد الزهراوي ومعروف الارناؤوط . أما في العراق فميز من يمثل هذا الاتجاه يوسف رزق الله غنيمة في رواية (غادة بابل) والقس سليمان الصائغ في رواية (يزداندوخت الشريفة الاربيلية) .

ومن اتجاهات القصة العربية الحديثة الاتجاه الاجتماعي الذي بدأه جبران خليل جبران في (الأجنحة المتكسرة) (١٩١٢) ومحمد حسين هيكل في (زينب) (١٩١٤) وبعد الحرب العالمية الأولى أسهم فيه محمود تيمور وطه حسين وتوفيق الحكيم وإبراهيم المازني . أما في أعقاب الحرب العالمية الثانية فقد نضج هذا الاتجاه علي أيدي نجيب محفوظ ويوسف إدريس وعبد الرحمن الشرقاوي .

وفي العراق برز في القصة الاجتماعية محمود أحمد السيد رائد القصة الحديثة في العراق وذو النون أيوب وعبد الحق فاضل . وفي سوريا ولبنان أشتهر ميخائيل نعيمة وجبران وشكيب الجابري وسهيل إدريس .

ارتبطت القصة العربية الاجتماعية بالمجتمع العربي الحديث وعكست مشكلاته وقضاياه وتناول بالنقد ما فيه من سلبيات وعادات وتقاليد بالية ودعت المجتمع إلى التمسك بقيم وممارسات حضارية جديدة . ولعل أهم المشكلات التي تناولتها مشكلة المرأة والحب ، فقد صورت نظرة المجتمع السلبية إلى هذه العاطفة الإنسانية ونقدتها وبيّنت مضارها ونتائجها الوخيمة ، كما نجد في روايات جبران (الأجنحة المتكسرة) ورواية (زينب) لمحمد حسين هيكل .

كذلك تناولت مشكلة الفقر والبؤس في الريف والمدينة وآثارها السلبية في الإنسان والمجتمع ، ومشكلات الريف وأهمها التخلف الحضاري والإقطاع كما تناولت هموم وتطلعات المثقف العربي ومشكلات الطبقات .

وقد تنوع أسلوب تناول الكتاب لهذه المشكلات تبعا لاختلاف ثقافتهم ومواقفهم الفكرية فمنهم من تناولها بالأسلوب الرومانسي مثل جبران خليل جبران والمنفلوطي ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ومن تناولها بالأسلوب الواقعي مثل ذو النون أيوب ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وعبد الرحمن الشرقاوي .

وثمة قصص غلب عليها التحليل النفسي والميل إلى تصوير أغوار النفس الإنسانية ويكون محورها العلاقة بين الرجل والمرأة وهذه القصص تتمثل في رواية (سارة) لعباس محمود العقاد و (إبراهيم الكاتب) لإبراهيم المازني وبعض قصص محمود تيمور القصيرة . وتدخل ضمن هذا الاتجاه قصص تيار الشهور والمتولوج الداخلي ، تلك

القصص التي تعنى بتصوير العالم الداخلي للشخصية بدلا من عالمها الخارجي عن طريق تسجيل الخواطر التي تدور في ذهن الشخصية وعقلها الباطن مثل قصص عبد الملك نوري وفؤاد النكرلي .

وفي الوقت ذاته شهدت القصة العربية الحديثة القصص السياسية تلك القصص التي تناولت قضايا سياسية تدور على تصوير مساوئ عهود الاحتلال الأجنبي والأنظمة السياسية الرجعية والنضال الوطني والقومي ضدها يتمثل هذا الاتجاه في رواية (الدكتور إبراهيم) لذو النون أيوب وقصص عبد الرحمن الشرقاوي مثل (الشوارع الخلفية) و (الأرض) .

أما المشكلات التي عانت منها القصة العربية فأهما مشكلة تغلب المضمون على الشكل والتعبير المباشر على الفكرة وبناء القصة على عدة محاور مما جعلها تفتقر البناء المتماسك وطغيان شخصية المؤلف على القصة وفرض آرائه وأسلوب تفكيره فرضا على شخصياته ، كما هي الحال في قصص طه حسين .

ومن هذه المشكلات أيضا ، مشكلة الازدواج اللغوي الذي يخل بالوحدة الفنية للقصة ، إذ تكون فيها لغتان ، لغة في السرد وهي الفصحى ، ولغة في الحوار وهي العامية كما هي الحال في رواية (زينب) لمحمد حسين هيكل وروايات إبراهيم المازني مثل (إبراهيم الكاتب) و (إبراهيم الثاني) .

لكن كتّابا آخرين اجتازوا المشكلة فوحّدوا اللغة في القصة أي جعلوها الفصحى في السرد والحوار معا كما فعل طه حسين في رواياته (دعاء الكروان) و (شجرة البؤس) و (الحب الضائع) ونجيب محفوظ في كل رواياته وقد بسط محفوظ الفصحى حتى يفهمها القراء جميعا . يقول طه حسين عن لغة نجيب محفوظ أنها (لم تكتب في اللغة العامية المبتذلة ،ولم تكتب في اللغة الفصحى القديمة التي يشق فهمها على أوساط الناس وإنما كتبت في لغة وسطى يفهمها كل قارئ لها مهما يكون حظه من الثقافة ، ويفهمها الأميون إن قرئت عليهم . زهي مع ذلك لغة فصيحة نقية لا عوج فيها ولا فساد) .

وعلى العموم تطورت القصة العربية خلال السنوات الأخيرة ونضج شكلها وأسلوبها وارتبطت بالواقع العربي مصورة كل ما يعج به هذا الواقع وكل ما يعيشه الإنسان العربي من هموم وتطلعات وأشواق .

القصة القصيرة :

ظهرت القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث في مطلع القرن العشرين مع انتشار الصحافة وزيادة القراء نتيجة للتوسع في التعليم ونشاط الترجمة ونمو الوعي القومي إذ شرع بعض الأدباء والصحفيين يترجم قصصا عن الفرنسية والانكليزية وينشرها في الصحف والمجلات مثل ترجمات المنفلوطي عن الفرنسية .

ثم بدأت المحاولات في تأليف القصة القصيرة ، وقد تمثلت أولا في أعمال أدبية جمعت بين خصائص المقامة وخصائص القصة القصيرة الحديثة مثل أعمال عبد الله النديم في (التنكيت والتبكيت) و (إبراهيم المويلحي) التي نشرها في (مصباح الشرق) وهي أعمال توافرت فيها عناصر القصة من حادثة ووصف وحوار لكن سيطر عليها أسلوب الوعظ والإرشاد .

غير ان محاولات أكثر نضجا شهدها الأدب العربي في مصر خلال الحرب العالمية الأولى إذ توافر فيها أغلب عناصر القصة القصيرة الناجحة ، وتمثلت في قصص محمد تيمور وقد نشرها في مجلة (السفور) عام ١٩١٧ وجمعت فيما بعد في كتاب طلق عليه (ما تراه العيون) .

يعد الباحثون محمد تيمور (١٨٩٢ – ١٩٢١) منشئ القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث ويعدون قصته القصيرة (في القطار) المنشورة في عام ١٩١٧ أول قصة قصيرة ناجحة في الأدب العربي الحديث وذلك

لوحدة حدثها ، واتجاهها الواقعي وفكرتها الجادة والواضحة وحوارها القصصي . والقصة تدور على مشكلة الفلاح في مصر وتتخذ منها موقفا ايجابيا إذ تدافع عن الفلاح وتدعو إلى إنصافه وتعليمه .

أما في أعقاب الحرب العالمية الأولى وثورة ١٩١٩ ، فقد سارت القصة القصيرة إلى أمام وتطورت على أيدي الأخوين عيسى عبيد وشحاته عبيد ومحمود طاهر لاشين ويحيى حقي ومحمود تيمور (١٨٩٤ – ١٩٧٣) الذي كتب عشرات المجاميع القصصية وحرص فيها على توفير العناصر الفنية والتركيز ووحدة الانطباع .

ان قصص محمود تيمور ذات بناء محكم ومعالجة عميقة ولغة متينة وشخصيات مرسومة رسما عميقا يكشف عن عوالمها الداخلية ويبين نازعها وخلجاتها النفسية . وهو حقق هذا المستوى الفني الجيد بعد أن قرأ موباسان الفرنسي وتشيخوف الفرنسي وتأثر بهما وقرأ جيدا أصول القصة القصيرة وأسرارها . لهذا عده الباحثون أكبر كاتب للقصة القصيرة في مصر والوطن العربي ولعل السمة الرئيسة في قصصه الواقعية التي دفعته إلى تصوير بيئته المحلية وما فيها من شخصيات وصور ومواقف ، وكلها تحمل دلالات عميقة ، مما جعلها قصة ذات طابع إنساني تحظى بشهرة واسعة في مصر والوطن العربي وتترجم إلى عدة لغات في العالم . ومن مجاميعه القصصية (الشيخ جمعة وقصص أخرى) الصادرة في عام ١٩٥٢ .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية شهدت القصة القصيرة في مصر نضجا أكبر في النزعة الواقعية والاتجاه الاجتماعي واكتمال العناصر الفنية . وتمثل ذلك عند عدد من كتاب القصة وأشهرهم يوسف إدريس .

أما في العراق فكانت نشأة القصة في العشرينات وكان رائدها محمود أحمد السيد (١٩٠١ – ١٩٣٧) الذي أصد عدة مجاميع قصصية اتسمت بنزعة اجتماعية وواقعية ، ثم جاء ذو النون أيوب فأصدر خلال الثلاثينات والأربعينات مجاميع قصصية تناول فيها قضايا اجتماعية وسياسية بأسلوب تقريري وجريء ولغة بسيطة لكن القصة القصيرة اكتملت فنيا ونضجت في الخمسينات عند عبد الملك نوري وفؤاد النكرلي .

وفي سوريا ولبنان ساهم في هذا الفن كتّاب كثيرون منهم ميخائيل نعيمة وخليل تقي الدين وعبد السلام العجيلي .